

# الأزمة الأوكرانية والتوازنات المتغيرة في الشرق الأوسط

ديلارا أعلان

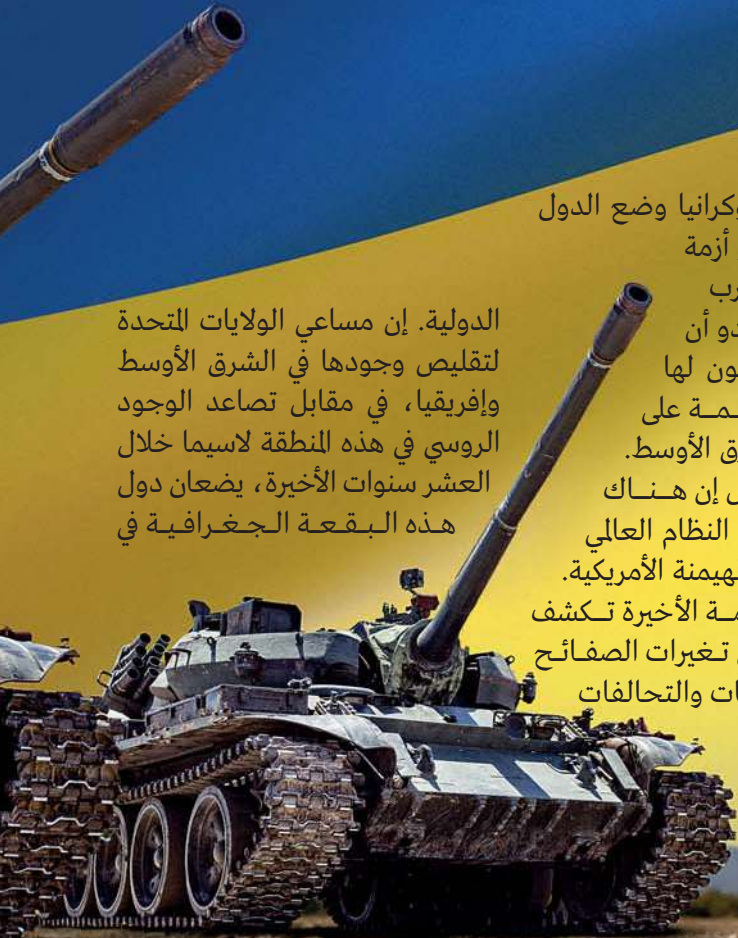
»

رغم أن دول الشرق الأوسط لا تعتبر طرفا مباشرا في الحرب الأوكرانية الروسية، إلا أن الأبعاد الدبلوماسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية للأزمة سيكون لها آثار طويلة الأمد في المنطقة. وعلى عكس الدول الأوروبية التي التفت حول الولايات المتحدة مع اندلاع الحرب، انقسمت دول الشرق الأوسط فيما يتعلق بالمواقف المختلفة تجاه الأزمة.

“

الغزو الروسي لأوكرانيا وضع الدول الغربية أمام أكبر أزمة تواجهها بعد الحرب الباردة. كما يبدو أن هذه الحرب سيكون لها تداعيات مهمة على التوازنات في الشرق الأوسط. ويمكن القول إن هناك تحولات تجري في النظام العالمي الذي يقع تحت الهيمنة الأمريكية. لكن هذه الأزمة الأخيرة تكشف بوضوح أكثر عن تغيرات الصفائح التكتونية للعلاقات والتحالفات

الدولية. إن مساعي الولايات المتحدة لتقليص وجودها في الشرق الأوسط وإفريقيا، في مقابل تصاعد الوجود الروسي في هذه المنطقة لاسيما خلال العشر سنوات الأخيرة، يضعان دول هذه البقعة الجغرافية في



## النفوذ المتغير للولايات المتحدة في الشرق الأوسط

صبّ تركيزه على منطقة آسيا والمحيط الهادئ والصين الصاعدة التي تحتل حيزاً كبيراً من السياسة الخارجية للولايات المتحدة. أمّا دول الشرق الأوسط التي كانت تبحث منذ سنوات عن حلول لمشاكلها الإقليمية في الخارج، فبدأت تعمل الآن على زيادة التواصل فيما بينها وتسعى للحصول على ضمانات أمنية من خلال التحالفات الجديدة. هذه

عندما وصل الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى السلطة، تعهّد باستعادة مكانة بلاده في العالم وإعادة إحياء شبكات تحالفها وشراكاتها، لكنه

معادلة صعبة ستزداد فيها جهودهم للوقوف على الحياد. وبالإضافة إلى الآثار السلبية على الأمن الغذائي العالمي وأسواق الطاقة والتجارة، فمن المرجح أن يكون للحرب بين أوكرانيا وروسيا عواقب على دول الشرق الأوسط من حيث الأمن والمصالح الوطنية أيضاً.

وحدة أراضي أوكرانيا وسيادتها والإعراب عن أملها في حل دبلوماسي لهذه الأزمة. وفي تصويت الجمعية العمومية للأمم المتحدة التي عقدت في 2 مارس/ آذار لمطالبة روسيا بوقف هجومها وسحب قواتها من أوكرانيا، صوتت سوريا ضد مشروع القرار، ولم يشارك المغرب في التصويت، فيما امتنعت كل من إيران والعراق عن التصويت.

إن قيام العديد من حلفاء الولايات المتحدة، من دول الخليج الغنية بالنفط وصولاً إلى تركيا وإسرائيل، باتباع سياسة دبلوماسية متوازنة أو عدم اتهامهم روسيا بشكل علني، يظهر التأثير الذي تفرضه موسكو في المنطقة. وفي هذه المرحلة، يجب أيضاً التأكيد على جهود إسرائيل وتركيا للعب دور الوساطة بين أوكرانيا وروسيا مع الحفاظ على سياسة التوازن. ورغم أن تركيا أكدت رغبتها في إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة مع هاتين الدولتين الجارتين على البحر الأسود وأكدت رغبتها في إنهاء الحرب بالطرق السلمية، إلا أنها وصفت هجوم روسيا على أوكرانيا بأنه "حرب" وأكدت أن هذا الغزو لا يمكن قبوله. وبالإضافة إلى ذلك، فَعَلَت أنقرة اتفاقية مونترو، وأغلقت المضائق التركية أمام السفن الحربية وبعات إلى أوكرانيا طائرات بدون طيار تم استخدامها بشكل فعال خلال الحرب. وفي المقابل، لم تشارك تركيا في العقوبات ضد روسيا. أمّا إسرائيل التي تعتبر الحليف الرئيسي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، فقد رفضت طلب أوكرانيا في الحصول على أسلحة ومعدات عسكرية منها.

العلاقات الخليجية مع روسيا في المجالات الأمنية والتجارية والنفطية

من الدول اعتبار إيران على أنها تهديد وجودي، وعدم انتهاء الخصومات الإقليمية، قد لا يسفر عن النتائج المرجوة لإعادة النظر في العلاقات وقد لا يحقق السلام الإقليمي المنشود. دول المنطقة التي تحاول الحصول على ضمانات اقتصادية وأمنية بعد انسحاب الولايات المتحدة، تسعى لتطوير علاقاتها مع حلفاء جدد يزداد نفوذهم في الشرق الأوسط وإفريقيا مثل روسيا والصين. وفي هذا السياق، فإن الحرب الأوكرانية التي وضعت القوتين العظميين الولايات المتحدة وروسيا في وجه بعضهما البعض، جلبت معها ضرورة الاختيار بين واشنطن التي تربطها علاقات تاريخية قوية بدول الشرق الأوسط، وموسكو التي ظهرت كبديل لهذا الفاعل الدولي.

## ردود فعل دول المنطقة على احتلال أوكرانيا

رغم أن دول الشرق الأوسط لا تعتبر طرفاً مباشراً في الحرب الأوكرانية الروسية، إلا أن الأبعاد الدبلوماسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية للأزمة سيكون لها آثار طويلة الأمد في المنطقة. وعلى عكس الدول الأوروبية التي التفت حول الولايات المتحدة مع اندلاع الحرب، انقسمت دول الشرق الأوسط فيما يتعلق بالمواقف المختلفة تجاه الأزمة، إلى ثلاث مجموعات. ففي الوقت الذي أعربت فيه الدول المؤيدة لروسيا والحرب، مثل سوريا، عن دعمها الصريح، اتخذت مجموعة أخرى من بينها لبنان والكويت موقفاً معارضاً للاحتلال وأدانت الغزو الروسي لأوكرانيا. أمّا المجموعة الأخيرة التي تضم دولاً بينها الإمارات والسعودية ومصر، فتحاول الحفاظ على الحياد مع التأكيد على

المناورات الدبلوماسية الجديدة فتحت الباب أمام مفاوضات وعلاقات جديدة كان من الصعب تصورها قبل عام واحد فقط. وبعد أن كانت الولايات المتحدة القوة المتفوقة بلا منازع في الشرق الأوسط لما يقرب من 20 عاماً بعد الحرب الباردة، تشكّلت جيوسياسية المنطقة من خلال الحروب الأهلية والثورات والمعارضة المتصاعدة من قبل الشعب الأمريكي للحروب وإعادة إشعال المنافسة بين القوى العظمى. وعلى وجه الخصوص، فإن عملية الانسحاب الفوضوية للولايات المتحدة من أفغانستان، وزيادة الاتصالات الدبلوماسية الإقليمية، ونهاية المقاطعة الخليجية لقطر التي استمرت 3.5 سنوات في قمة العلا في يناير/ كانون الثاني 2021، أصبحت رموز هذا العهد الجديد.

بينما انتعشت العلاقات بين قطر ودول الخليج، دخلت تركيا أيضاً فترة تطبيع مع العديد من دول المنطقة التي تدهورت علاقاتها معها خلال فترة الثورات الشعبية التي سميت بالربيع العربي في عام 2011. وتشير الزيادة الأخيرة في الاتصالات مع الإمارات والسعودية ومصر وإسرائيل، والدعوات لحسن النية والتعاون المتبادلين، إلى أن تطورات جديدة قد تحدث في المنطقة في الفترة المقبلة. ولكن، لا يزال من غير الواضح مدى فعالية هذه المعادلات الجديدة والعودة إلى "السياسة الواقعية" في حل مشاكل المنطقة. كما أن اعتراف دول الشرق الأوسط بنظام طالبان الجديد في أفغانستان، واستمرار الحرب الأهلية اليمينية بين التحالف الذي تقوده السعودية والمليشيات المدعومة من إيران، واستمرار العديد

السياق، يمكن لروسيا استخدام حق الفيتو ضد برنامج السماح بإدخال المساعدات الإنسانية إلى منطقة شمال سوريا، والذي سينتهي في يوليو/ تموز المقبل وسيتم طرحه للتصويت مرة أخرى في مجلس الأمن الدولي. وقد يؤثر ذلك على ما يقرب من أربعة ملايين سوري يعيشون في المنطقة ويحتاجون إلى هذه المساعدات الإنسانية، وبالتالي زيادة الهجرة والضغط الإنساني على تركيا وأوروبا. وبالمثل، تمر ليبيا بفترة حساسة للغاية بشأن إجراء الانتخابات من أجل استقرار البلاد. ويمكن لروسيا تقويض العملية السياسية هناك وزعزعة استقرار جنوب أوروبا كما فعلت من قبل وذلك من خلال استخدام أمراء الحرب والمرتزقة ضد الحكومة المنتخبة من قبل الأمم المتحدة.

وفي النتيجة، أظهر الغزو الروسي لأوكرانيا مرة أخرى الاختلافات التي تزداد حدة تدريجياً في الرأي بين الولايات المتحدة وحلفائها في الشرق الأوسط. وبينما نتجه مرة أخرى نحو عالم متعدد الأقطاب، ويزداد تعاون الجهات الفاعلة مثل روسيا والصين اللتين أصبحتا قوى عالمية، من خلال استثماراتهما الإقليمية في الشرق الأوسط، تزعمت الثقة في الضمان الأمني للولايات المتحدة. ويمكن القول إن الأشهر والسنوات المقبلة سترينا إلى متى ستنجح دول الشرق الأوسط في الحفاظ على حياديتها بين القوى العظمى وإلى ماذا ستؤدي التغيرات العالمية التي ستسفر عنها الحرب الأوكرانية الروسية. ■

ديلارا أطلان: صحفية وباحثة من تركيا، تعمل في صحيفة "ديلي صباح".



لاتباع سياسة خارجية مستقلة قائمة على المصالح الوطنية.

## الآثار المحتملة للحرب على الأزمات الإقليمية

هناك جانب آخر يمكن رؤية انعكاسات الحرب المستمرة بين أوكرانيا وروسيا فيه وهو الأزمات في الشرق الأوسط. وتعتبر الأزمات السورية والليبية التي تشهدان حرباً أهلياً ومشاكل معقدة منذ عام 2011، مجالات تلعب فيها موسكو دوراً فاعلاً وتهدف إلى تحقيق مصالح اقتصادية واستراتيجية من خلال قلب التوازنات هناك لصالحها. وقد يؤدي الغزو الروسي لأوكرانيا إلى سيناريوهين أساسيين للأزمة السورية. أول هذين السيناريوهين هو عجز موسكو عن الحفاظ على دعمها السابق لبيشار الأسد في سوريا بسبب تدهور اقتصادها وضعف قدراتها، وبالتالي ملء إيران الفراغ الذي تركته روسيا. أما السيناريو الثاني، فهو اتخاذ روسيا إجراءات في سوريا وليبيا بشكل يضر بمصالح الغرب أو دول لها دور في هذه الأزمات الإقليمية مثل تركيا وإسرائيل، واستخدام هذه المناطق لمعاكبة خصومها. وفي هذا

تضع دول هذه المنطقة في معضلة صعبة وتمنعها من إدانة روسيا بشكل علني. وعندما قام الحوثيون المدعومين من إيران في اليمن باستهداف الشركة السعودية الوطنية أرامكو في العام 2019، واستهداف منطقة "المصفح" في أبو ظبي عاصمة الإمارات في يناير/ كانون الثاني الماضي، أبدت الولايات المتحدة ردود فعل على هذين الهجومين لكن دول الخليج اعتبرت ردود الأفعال هذه غير كافية ولم تقدم الضمانات الأمنية التي تبحث عنها دول الخليج ضد التهديدات المستمرة للحوثيين. كما أن هناك أمراً يشكل قضية مصيرية وهو النفط. حيث رفضت السعودية مطالب الولايات المتحدة بزيادة إنتاج النفط من أجل خفض أسعاره التي ارتفعت بشكل متسارع عقب الغزو الروسي لأوكرانيا. وأعلنت السعودية أنها ستواصل الالتزام بحصص الإنتاج التي تحددها مجموعة دول أوبك+ والتي تعد روسيا أحد الشركاء الرئيسيين فيها. وتُظهر مواقف دول الخليج هذه أن الدول التي كانت ذات يوم حليفاً رئيسياً للولايات المتحدة في المنطقة قد زادت الآن من استقلاليتها وتسعى